

الأندية والمجالس الأدبية في المشرق وأثرها في الأندلس

سعيدة قدام قرأ

معهد اللغات الأجد

أ - الأندية والمجالس الأدبية في المشرق:

إن الحركة العمرانية المزدهرة والمستوى المتقدم من التطور الحضاري الذي عرفه المشرق وبلاد الأندلس، جعلت ذوي الأمر فيهما وعامة الناس يحققون رغباتهم ويشبعون نزواتهم من المصادر التي وفرتها طبيعة الحياة المادية والسياسية في الدولتين.

وعندما نبحت عند مصادر الترفيه والتثقيف نجدها تنحصر أو تكاد في النوادي والمجالس العلمية والأدبية بأنواعها المختلفة والتي نعرفها فيما يلي.

المجالس العامة

قبل الانتقال إلى الحديث عن المجالس العامة يجدر بنا أن نقف عند ملاحظة هامة، وهي أن الأندية كانت خاصة بعلية القوم من أمراء ووزراء وقواد، وهناك مجالس عامة خاصة بالشعراء وعلماء الدين واللغة والعلوم الأخرى، ويصعب الفصل بين أنشطة هذه المجالس ووضع حدود بينها، فنقول هذا مجلس غناء، وهذا مجلس شراب لأن هذه الأمور مجتمعة كانت متداخلة متناسقة وكان لكل منها حظه الوافر ونصيبه الكبير من هذه الأندية والمجالس.

وقد كان يلتقي في مجلس واحد الماجن والفقيه والمحدث والمتكلم والراوي وعالم اللغة وغيره.

وهكذا كان لبعض الشعراء وأهل الأدب مجالس خاصة بهم مشهورة بصاحبها كمجلس «البردان» لبشار ومجلس البحتري، وحلقة دعبل وغير ذلك كثير، وهناك مجالس تقام في المنازل، وهناك مجالس تقام في المساجد والحمامات والحانات وحتى دكاكين الوراقين، وبين هذه الأماكن قد تنتقل الشعراء والأدباء والندماء فكان الرقص والغناء والطرب والتهتك والمجون وكان أيضا الجد والرصانة والنقاش والانشاد(11).

ومن مجالس الشراب التي عقدها أصحابها في القصور والحانات والأديرة والمنزهات والبساتين وعلى ضفاف الأنهار حيث تنبعث رائحة الخمر

وسيطع لونها فتؤثر في الشعراء والأدباء فيقولون ما طاب لهم وما جال في

ما أن نقف عند خواطرهم.

ن أمراء ووزراء

، واللغة والعلوم

ود بينها، فنقول

ة كانت متداخلة

ن هذه الأندية

مختلف الأعصر.

والمتكلم والراوي

الأديرة والحمامات

ة بهم مشهورة وكثيرا ما سجل الشعراء انطباعاتهم وذكرائاتهم في المجالس التي

صنعهم في الأديرة والحمامات (12) فكتبوا أبياتا ومقاطع وقصائد طويلة

نكروا فيها أيامهم الجميلة ولياليهم السعيدة التي قضوها فيها.

أماكن قد تنقل

التهتك والمجون

المساجد

ولعل أكبر مكان كان يستقطب العلماء والأدباء هو المساجد حيث أصبح

المسجد في العصر العباسي رافدا من روافد العلم والمعرفة، وقد شارك في

ث رائحة الخمر

ثقافة المسجد الشعراء والفقهاء وأهل اللغة والدين والمنطق والفلسفة والرياضيات وسواهم من العلماء.

ب - ظهور المجالس والأندية الأدبية في الأندلس:

ان المجتمع الأندلسي قليل الاستقرار كثير الهزات، والسبب في ذلك صخب المدن وعنف الأزمات والاضطرابات السياسية (13) مما جعل القلق النفسي يشيع بين الناس، لكن الرخاء الذي تمتع به الأندلسي جلعه يتخطى الأحداث المرة، وينظر إلى الحياة نظرة متفائلة مرحة فراح يلهو تارة ويعبث ويتتقف طورا آخر. وقد سمحت الظروف الحضارية بالتمتع والتحصيل، حيث بلغت الحضارة أوجها في الأندلس وازدهر الأدب والفن والعلوم ازدهارا كبيرا، ونافست أغلب مدن الأندلس مدن بغداد والشام والحجاز وقد وجد الأندلسيون في المساجد والنوادي والمجالس موارد لتثقيف العقل والترفيه عن النفس. فكان العالم عندهم معظما من الخاصة والعامة، ومن طبيعة الأندلسيين رقة الطباع وحب الغزل والموسيقى والرقص والغناء.

ظهرت المجالس والأندية الأدبية في مختلف المدن الأندلسية وفي مختلف العصور وقد أسهم فيها الأمراء والوزراء والشعراء والمغنون والسقاة والراقصات، وكثر بينهم التنافس.

لنطق والفلسفة وقد ضمت هذه المجالس المساجد والقصور والمنازه، وكان الأمراء ينظرون إلى تلك المجالس على أنها نوع من النشاط الاجتماعي ويرون فيها فرصا للقاء مثمر مفيد في ميادين الثقافة والأدب بل السياسة أحيانا(14)

أنواع المجالس والأندية:

كما رأينا عند المشاركة اختلاط المجالس فإنه أيضا يصعب التفريق بينها في الأندلس إلا من ناحية النشاط المقام فيها كالشعر ومجالس الأدب والمجون أو الغناء ومجالس الأدب أو مجالس الشراب أو المجالس التي تغلب عليها روح الفكاهة والتندر إلى غير ذلك مما سنعرض له.

الشعر ومجالس الأدب والمجون:

كان الشعر في هذه المجالس يقوم بدور عظيم في امتاع النفس وادخال السرور على المتسامرين ويستلهم الشعراء عندئذ معاني الغزل وصفات الخمرة والطبيعة وكثيرا ما كانوا يرتجلون أشعارا فيقوم بنقدها الجالسون(15). ومثلما كان يفعل المشاركة فإن أهل الأندلس احتذوا بهم حيث يبعثون بدعوات لطيفة إلى الشاعر الذي يدخل عليهم السرور، وترسل هذه الدعوات في شكل رسائل شعرية ولا بد أن ترجع مجاوباتها شعرا أيضا(16).

السبب في ذلك مما جعل القلق يجلعه يتخطى ليهو تارة ويعبث التحصيل، حيث العلوم ازدهارا حجاز وقد وجد نقل والترفيه عن طبيعة، ومن طبيعة، وفي مختلف لغنون والسقا

الغناء ومجالس الأدب:

كان الشعر والغناء والرقص والموسيقى من أفضل الوسائل وأنسبها في طلب الترفيه والتنفيس، ومما زاد في نشاط هذه المجالس استقدام فنانيين من المشرق من مغنيين وراقصات وعلى رأسهم زرياب الذي وفد على الأندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم 283 هـ، وقد أحدث ثورة في عالم الفن في إسبانيا استحدثت الألحان والاضافات إلى العود والاكتشاف في أمور الحضارة وشعرها والتمدن، وقد جعل للموسيقى مقاييس خاصة وسن للفنانين آداب الرأفة والسلوك (17)

وفي عهد الطوائف انتشرت الخلاعة والمجون في كثير من المدن وعرف بها بعض الملوك كالمعتمد بن عباد والمأمون بن ذي النون إذ كانوا يحتفلون بمجالس اللهو والغرام بالعزف والغناء (18)، وتسربت هذه الظاهرة من قصور الملوك إلى الشعب عامة. كانت الأندلس آنذاك أشبه بقيثارة ترسل ألعانها هنا وهناك في القصور الخاصة والحدائق العامة وغيرها.

مجالس الشراب:

إذا ما انتقلنا إلى الحديث عن مجالس الشراب عند الأندلسيين وجدناها لا تختلف عن مجالس الشراب في المشرق، فقد دخلت الخمرة إلى القصور واللهو وال

وتبعها عشاقها إلى الحانات، وحملوها معهم إلى المنتزهات وضاف
 الأنهار(19)، وقد أكثر الأندلسيون من وصف هذه المجالس، ولهم فيها
 تشبيهات طريفة.

على الأندلس في ولعل أحسن أوصاف الخمرة في البيئة الأندلسية تلك التي جاءت على
 في عالم الفن في لسان ابن حمديس الذي كان يدور على هذه المجالس ويرتجل الشعر فيها،
 أمور الحضارة وشعر هذه المجالس تختلط فيه أوصاف الخمرة بأوصاف الطبيعة وأوصاف
 للفنانين آداب المرأة والتغزل بها(20).

مجالس غلبت عليها روح الفكاهة:

بعض الشعراء تجاوز حد الاعتدال في وصف الخمرة والتغزل بالمرأة
 وأفرط في وصف مجالس الأنس والطرب وأغرق في الفكاهة والتندر وتناول
 البعض منهم على تعاليم الدين والتقاليد الإسلامية ليظفروا بعطاء الأمراء
 وربما شارك الملوك المتهتكون في هذا المجون ونظموا سقط الكلام
 شعرا(21).

وقد كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية سببا في انتعاش هذا الغرض
 لسيين وجدناها وأقبال الناس عليه وخاصة الشعراء الذين كانت حياتهم خليطا بين السياسة
 رة إلى القصور واللهو والمجون، وهناك من شغلته السياسة بقدر ما شغلهم اللهو كابن

و
المش
عددا
المنص
القاذ
الاتذ

يوم
و
غرنا

هـ
ا
وهي
والثا
جعل
وحف

شهير الذي شغلته ملذات قرطبة وملاهيها وغيره كثيرون قالوا أشعارا جرّت
إلى الشقاء، ولم يسلم الشاعر ابن حصن وابن زيون وابن خفاجة من قول
شعر المجون.

المجالس العلمية:

احترم الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب وكان لهم القيادة
والريادة في المجتمع الأندلسي، وكان العلماء متبحرين في علوم كثيرة ففيهم
من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين، وكانت
للفقيه منزلة جلية، حتى أن الأندلسيين كانوا يسمون الأمير الذين يجلسونه
بالفقيه وربما أطلقوا هذا على الكاتب (22) والتحري - اللغوي معبرين بذلك
عن تعظيم واجلال للعلماء (23). وكانت أغلب مدارس العلم في الأندلس هي
المساجد وقصور الأمراء التي كان يقصدها العلماء والفقهاء، كما كان لجامع
قرطبة الأثر القوي في امداد النهضة الثقافية بصورة عامة والأدبية بشكل
خاص، فقد كان هذا الجامع بمثابة معهد كبير تعقد فيه الحلقات الكثيرة
لدراسة علوم اللغة وآدابها بالإضافة إلى العلوم الدينية (24).

والمجالس العلمية كانت كثيرة منها مجالس التصور ابن أبي عامر في
قصره المسمى بالزاهرة لا يدانيها في جلال قدرها أي مجلس.

وفي هذه المجالس لمعت شخصيات كثيرة منها: صاعد البغدادي اللغوي المشهور بكتابه «الفصوص»، وهناك مجالس المعتمد بن عباد التي ضمت عددا كبيرا من العلماء، وكذلك لا تقل عنها روعة ومكانة مجالس المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة ويذكر في هذا المجال المجلس الذي كان يقيمه القاضي بن عباد جد المعتمد، وأضيف إليها ما كان يعقده المعتضد يوم الاثنين من كل أسبوع، والندوات التي كان يعقدها المعتصم صاحب المرية يوم الجمعة (25).

وقد تنافس العلماء على مجلس أبي جعفر بن سعيد وزير عبد المؤمن ملك غرناطة وأحد مصنفي كتاب «المغرب في حلى المغرب».

مجالس النساء:

استطاعت المرأة الحرة في الأندلس أن تلعب دورا بارزا في الأدب العربي وهي تشبه من هذا الجانب دور المرأة الفرنسية إبان القرن السابع عشر والثامن عشر، وهذا دليل على أن النساء العربيات سبقن نساء الغرب في جعل منازلهن أندية أدبية ونذكر على سبيل المثال «ولادة بنت المستكفي، وحفصة الركونية في الأندلس وسكينة بنت الحسين في المشرق».

مجلس ولادة:

- (1) - فبعد وفاة أبيها فتحت أبواب قصرها بقرطبة للأدباء والشعراء ورجال
1978 الدولة وأطلقت العنان لحريتها، وقد كان ابن زيدون من المتردين على ندوتها.
(2) - وقد كانت هي التي تدير هذه الندوة لا يتقدم أمامها أحد تجالس الشعراء
(3) - والكتاب ورجال الدولة فتساجلهم وتسامرهم فتزرع الاطمئنان في النفوس
(4) - وتوزع المرح والسرور على الجالسين(26).

(6) -

(7) -

(8) -

مجلس حفصة الركونية:

- (9) - وهي شاعرة أدبية مشهورة بالجمال والحسب والمال اختارها بنو عبد
(10) - المؤمن مؤدبة لنسائهم(27).

(11) -

(12) -

(13) -

(14) -

(15) -

(16) -

(17) -

(18) -

(19) -

الهوامش:

- (1) - الأندية الأدبية في العصر العباسي، علي محمد هاشم، ص 47. دار الآفاق الجديدة بيروت 1978.
- (2) - الأندية الأدبية، ص 51.
- (3) - نفس المصدر، ص 60.
- (4) - نفس المصدر، ص 54.
- (5) - الحياة الأدبية في العصر العباسي، عبد المنعم جفاجي، ص 5.
- (6) - الأندية الأدبية، ص 71.
- (7) - تجديد ذكرى أبي العلاء طه حسين، ص 38.
- (8) - الأندية الأدبية، ص 75.
- (9) - نفس المصدر، ص 78.
- (10) - نفس المصدر، ص 78.
- (11) - الأندية الأدبية، ص 136.
- (12) - الأندية الأدبية، ص 183.
- (13) - الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص 147.
- (14) - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد اسماعيل شلبي، ص 430.
- (15) - البيئة الأندلسية، ص 439.
- (16) - الذخيرة وقلائد العقيان.
- (17) - نفح الطيب، ج 4، ص 123.
- (18) - البيئة الأندلسية، ص 55.
- (19) - البيئة الأندلسية، ص 55.

جال

تها.

عراء

وس

عبد

عقول

حقيق

- (20) - نفس المصدر، ص 55.
(21) - نفس المصدر، ص 438.
(22) - نفع الطيب، ج 1، ص 102.
(23) - الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص 148.
(24) - التجديد في الأدب الأندلسي، ص 30.
(25) - تاريخ الأدب العربي، ابراهيم أبو الخشب، ص 23.
(26) - الحب في الأندلس، ص 196.
(27) - نفس المصدر، ص 213.

المصادر والمراجع

الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق
الأندية الأدبية في العصر العباسي، علي محمد هاشم
البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد اسماعيل شلبي
تاريخ الأدب العربي، ابراهيم أبو الخشب
تجديد ذكرى، أبي العلاء طه حسين
التجديد في الأدب الأندلسي، أنيس داود
الحب في الأندلس، بيروت جودت مدلج
الذخيرة، لابن بسام